السردية الأندلسية:
تفاعلات السياقات التاريخية والثقافية
قراءة في ضوء منهجية التاريخانية الجديدة

أ.د. إسماعيل نوري الربيعي

كندا

الملخص:

تسعى الدراسة إلى مقاربة السردية الأندلسية، من منظور منهجية التاريخية الجديدةNew) (Historicism التي أرساها ستيفن غرينبلات في ثمانينيات القرن العشرين، بوصفها إطارًا نظريًا يتيح قراءة النصوص الأدبية والفكرية في علاقتها الجدلية مع البنى الثقافية والسياسية والاجتماعية التي أحاطت بها. فالخطاب الأندلسي، بمستوياته المتعددة من الشعر والنثر والكتابة التاريخية والفقهية، لم يتشكّل في فراغ، بل كان نتاجًا لتفاعل معقد بين السياقات التاريخية من جهة، والخيال الثقافي من جهة أخرى. تقوم فرضية البحث على أن السردية الأندلسية تمثل مجالًا خصبًا، لتفكيك العلاقة بين الوعي الذاتي المنهجي للنصوص، وبين التفاوض والتبادل الثقافي الذي ميز المجتمع الأندلسي المتعدد الديانات والثقافات. فمن تحليل المرويات التاريخية والأدبية، يتضح أن النص الأندلسي لم يكن مجرد انعكاس لوقائع تاريخية، بل كان أداة فاعلة في صياغة فكرة تشكيل الذات سواء على المستوى الجمعي (الهوية الإسلامية – المسيحية – اليهودية)، أو على المستوى الفردي (صوت المؤلف والشاعر). كما يركز البحث على مفاهيم العجيب والصدى بوصفها أدوات جمالية، ورمزية لعبت دورًا محوريًا في رسم صورة الأندلس داخل النصوص، إذ اتخذ العجيب (الغرائبي والمُدهش) بعدًا دلاليًا يعكس خصوصية التجربة الأندلسية في تخيل ذاتها وتقديمها للآخر، بينما جسَّدَ الصدى وظيفة الذاكرة الثقافية، التي أعادت استدعاء الماضي وتداوله في الحاضر. ومن هذا المنطلق، تسعى الدراسة إلى إبراز كيف يمكن للتاريخية الجديدة، أن تُعيد قراءة هذه السرديات بوصفها فضاءً للتوتر المستمر بين السلطة والخطاب، بين النص والسياق، وبين الماضي والمتخيل.

تتوزع الدراسة على مجموعة من المباحث، يتناول أولها البنية النظرية للتاريخية الجديدة وأدواتها

في قراءة النصوص الأندلسية. أما المبحث الثاني فيقف على دينامية التفاوض والتبادل الثقافي داخل الأندلس، وكيف انعكست هذه الجدلية في السرديات الأدبية والتاريخية. ويتناول المبحث الثالث مفهوم تشكيل الذات الفردية والجماعية في النصوص الشعرية والفقهية. في حين يخصص المبحث الرابع لتحليل العجيب والصدى باعتبارهما صورتين متداخلتين للذاكرة والتخييل الثقافي. وبذلك، فإن هذا البحث يسعى إلى تقديم قراءة جديدة للسردية الأندلسية لا بوصفها تاريخًا منغلقًا أو نصوصًا مكتفية بذاتها، بل كحقل دلالي مفتوح تتقاطع فيه السلطة والمعرفة والهوية والخيال، بما ينسجم مع رؤية التاريخية الجديدة في الكشف عن شبكة العلاقات التي تجعل من النصوص منتجات ثقافية وسياسية في آن.

الكلمات المفتاحية: السردية، التاريخانية الجديدة، الوعي الذاتي المنهجي، التفاوض والتبادل، تشكيل الذات، العجيب، الصدى.

المقدمة

يمثّل موضوع السردية الأندلسية أحد المحاور المركزية، في دراسة الثقافة الإسلامية المتعددة الأبعاد. إذ يجمع بين الأدب والتاريخ والفكر السياسي والاجتماعي، ويتيح استكشاف كيفية تفاعل النصوص مع السياقات التاريخية والثقافية المختلفة. ويهدف هذا البحث إلى تقديم قراءة منهجية للسردية الأندلسية في ضوء **التاريخية الجديدة** التي أسس لها ستيفن غرينبلات، إذ تعدُّ النصوص الأدبية والتاريخية منتجات ثقافية، تنبثق من شبكة معقدة من العلاقات بين السلطة والخطاب والمجتمع، ولا يمكن فهمها بمعزل عن هذه السياقات[1]. ويمثل تطبيق هذه المنهجية على السردية الأندلسية فرصة لاستكشاف مدى قدرة النصوص على إعادة إنتاج الواقع الاجتماعي والثقافي والسياسي، وكذلك على التفاعل مع تعدد الأصوات والخطابات المختلفة في مجتمع متعدد الديانات والثقافات، وهو ما يوفر فهمًا أعمق للهوية الفردية والجماعية وكيفية تشكيلها عبر النصوص الأدبية والفقهية والتاريخية. تعتمد الدراسة على مجموعة من المفاهيم الأساسية، أبرزها :**الوعي الذاتي المنهجي**، الذي يتيح للنصوص التعبير عن موقع الفرد والجماعة ضمن شبكة العلاقات الاجتماعية والسياسية، و**التفاوض والتبادل الثقافي**، الذي يمثل العملية التي تُدمج بها عناصر مختلفة من الخطابات والثقافات ويُعاد تقديمها ضمن نصوص متشابكة الأبعاد، و**فكرة تشكيل الذات** التي تعكس كيفية إعادة إنتاج الهوية الفردية والجماعية في مواجهة السياقات الاجتماعية والسياسية، إضافة إلى مفهومي **العجيب والصدى** اللذين يُبرزان دور النصوص في تخييل التجربة الثقافية وإعادة إنتاج الذاكرة الجمعية[2].

ينقسم البحث إلى أربعة مباحث؛ يتناول **المبحث الأول** الإطار النظري للتاريخية الجديدة وأدواتها في قراءة السردية الأندلسية، موضحًا

(1) Stephen Greenblatt, Renaissance Self-Fashioning: From More to Shakespeare (Chicago: University of Chicago Press, 1980), pp. 5–6.

(2) Catherine Gallagher and Stephen Greenblatt, Practicing New Historicism (Chicago: University of Chicago Press, 2000), pp. 12–15.

كيف يمكن لهذه المنهجية تحليل النصوص باعتبارها منتجات ثقافية متشابكة مع السلطة والخطاب والسياق الاجتماعي. أما **المبحث الثاني** فيركز على التفاوض والتبادل الثقافي داخل المجتمع الأندلسي، موضحًا كيف انعكس هذا التفاعل في النصوص الأدبية والفقهية والتاريخية، وكيف يمكن للنصوص أن تصبح فضاءات تفاوضية بين الخطابات المختلفة. ويتناول **المبحث الثالث** تشكيل الذات الفردية والجماعية، مع التركيز على قدرة النصوص على إعادة إنتاج الهوية عبر الخطاب الأدبي والفقهي والتاريخي، وهو ما يعكس العلاقة الجدلية بين الفرد، والجماعة والسلطة والنص. أما **المبحث الرابع** فيخصص لدراسة مفهومي العجيب والصدى، بوصفهما أدوات لإعادة إنتاج الذاكرة الثقافية وتخييل التجربة الأندلسية، وإظهار كيفية دمج الجمالية مع المعنى والتاريخ في النصوص. تسعى الدراسة في هذه المباحث إلى تقديم قراءة متكاملة للسردية الأندلسية، لا من حيث هي انعكاسٌ لوقائع تاريخية أو تجربة أدبية منفصلة، بل بوصفها فضاءات دينامية تعكس شبكة معقدة من العلاقات الثقافية والاجتماعية والسياسية، وتوضح كيف يمكن للنصوص أن تكون أدوات فعالة في تشكيل الهوية وإعادة إنتاج السلطة والمعرفة. وباعتماد التاريخية الجديدة منهجًا تحليليًّا، يمكن الكشف عن أبعاد جديدة للسردية الأندلسية، بما يعزز فهمنا للتفاعل بين النص والسياق، وللدور الفاعل للخطاب الأدبي والتاريخي في بناء الوعي الذاتي والثقافي.

المبحث الأول: الإطار النظري – التاريخية الجديدة وأدواتها في قراءة السردية الأندلسية

يشكل منهج التاريخية الجديدة إطارًا نقديًا معاصرًا، يسمح بقراءة النصوص الأدبية والتاريخية في تفاعلها مع السياقات الثقافية والاجتماعية والسياسية التي أنتجتها، وقد برز هذا المنهج مع أعمال ستيفن غرينبلات منذ ثمانينيات القرن العشرين بوصفه بديلًا عن القراءات التقليدية، التي كانت تفصل بين الأدب والتاريخ. إذ ينطلق من فرضية أن النصوص ليست كيانات مستقلة ولا انعكاسات محايدة للواقع، بل هي منتجات ثقافية، تنطوي على آثار السلطة وتعيد إنتاجها أو مقاومتها ضمن شبكات الخطاب المتعددة[٣]. ومن هذا المنطلق فإنّ دراسة السرديّة الأندلسية عبر هذا المنهج، تتيحُ تجاوز القراءات الاختزالية التي حصرت الأدب الأندلسي في أبعاده الجمالية أو التاريخية البحتة، إذ أن النصوص الشعرية والفقهية والتاريخية التي أبدعها ابن حزم أو ابن زيدون أو ابن الخطيب وغيرهم، لم تكن مجرد إبداعات فردية بل مثلت مساهمات فعالة في تشكيل هوية جماعية وصياغة تمثلات السلطة والمعرفة في مجتمع متعدد الديانات والثقافات[٤]، وإذا ما نظرنا إلى النصوص الأندلسية في ضوء هذا المنهج فإنها تتبدى فضاءً للتفاوض بين

(3) Stephen Greenblatt, Renaissance Self-Fashioning: From More to Shakespeare (Chicago: University of Chicago Press, 1980), pp. 5–6.

(4) Catherine Gallagher and Stephen Greenblatt, Practicing New Historicism (Chicago: University of Chicago Press, 2000), pp. 12–15.

خطابات متعارضة، فالنص لا يعكس سلطة معينة فقـط بل قد ينطـوي على ملامح مقاومـة أو إعادة تعريف لتلك السـلطة[٥]، وهو ما يظهر بوضوح في توظيف الشعر السياسي، والغزل العاطفي كأدوات للتعبير عن الانتماء أو المعارضة، وكذلك في استخدام الخطـاب الفقهي لبنـاء حدود الهويـة المذهبية أو الدينية. وهنا يتجلى ما أطلق عليه غرينبلات مفهوم التفاوض الثقافي[٦]، حيث تلتقي النصوص في نقطة وسـطى بين القوى المهيمنة والخطابات الهامشية، فتُظهـر في آن واحـد اسـتيعابها لشروط السـلطة ومحاولتها لإعادة تعريفها.

ولعل خصوصية المجتمع الأندلسي بما اتّسم به مـن تعددية دينية ولغوية وفكريـة، تجعل تطبيق التاريخيـة الجديدة عـلى نصوصه أمرًا مـبررًا، بل ضروريٌّ، فالأندلس كانت ساحة للتعايش والصراع في آن معًـا، وقـد انعكـس ذلك في نصوصهـا التي تمثل بحق مرآة للتبادل الثقافي، حيث نجد حضورًا للفلسـفة اليونانية عبر الترجمة، وتفاعلًا مع الفكر اللاتيني، وإسهامًا يهوديًا ومسيحيًا في نسيج ثقافي غني. وهكـذا تصبـح النصوص الأندلسـية وثائق تفاوضية وليست مجرد تسـجيل لوقائع تاريخية. غـير أن هذا التوظيف يواجه حدودًا منهجية ينبغي التنبه لهـا، فالمصادر الأندلسـية الباقية تعكس في معظمها صـوت النخب المثقفة ولا تمثل بالضرورة شرائـح المجتمع كافـة، كما أن التعـدد اللغوي بين العربية والعبرية واللاتينية يفرض مقاربة متعددة اللغات حتى لا يغيب بُعـد من الأبعاد عن التحليل، يضـاف إلى ذلك أنّ المفاهيم التي نشـأت في سـياق نقدي غربي معاصر تحتاج إلى إعادة تكييف، حتى تتلاءم مع خصوصية السـياق الإسـلامي الوسيط ولا تتحـول إلى إسـقاطات. وعـلى الرغـم من هذه التحديات فـإنّ التاريخية الجديـدة تقدم إمكانات تحليليـة مرنـة، قـادرة عـلى كشـف التداخل بين النص والسـياق وإبراز شبكة العلاقات التي تجعل النصوص الأندلسـية منتجـات ثقافية وسياسـية في آن واحـد، وهو مـا يمهد للمباحـث التالية التي سـتطبق هذه المبادئ على نصوص بعينها، للكشف عن كيفية تشكل التفاوض والتبادل وتكوين الذات والذاكرة، عبر مفاهيم العجيب والصدى في السردية الأندلسية.

المبحث الثاني:
التفاوض والتبادل الثقافي
في النصوص الأندلسية

يشـكل التفاوض والتبادل الثقافي في النصوص الأندلسـية، محـورًا أساسـيًا لفهـم كيفية تشـكل السردية في مجتمع متعـدد الديانـات والثقافات، إذ أن المجتمـع الأندلسي لم يكن فضـاءً أحاديًا، بل مـكان للتفاعـل الدائم بين المسـلمين والمسـيحيين واليهـود، وقـد انعكـس هـذا التفاعل عـلى الإنتاج الثقافي والأدبي، سواء في الشعر أو النثر أو الخطاب الفقهي والتاريخي، بحيث لم تعد النصوص مجرد انعكاس لواقع اجتماعي، بل أدوات فاعلة في صياغة هذا الواقع وإعادة إنتاجه، فالتفاوض الثقافي يتمثل في قـدرة النصوص على الجمع بين عناصر متباينة، وإعادة تقديمها ضمن شـبكة معقـدة من المعاني

(5) Louis Montrose, 'Professing the Renaissance: The Poetics and Politics of Culture', in The New Historicism, ed. H. Aram Veeser (New York: Routledge, 1989), pp. 15–36.

(6) H. Aram Veeser, The New Historicism (New York: Routledge, 1989), pp. xi–xiii.

والقيم التي تتقاطع مع السلطة والمعرفة[٧]، ومن أبرز مظاهر هذا التفاوض الترجمة، التي لعبت دورًا محوريًا في نقل الفلسفة والعلوم من العربية إلى اللاتينية والعكس، وهو ما أتاح للثقافات المختلفة تبادل المفاهيم والأفكار، وساهم في صياغة خطاب معرفي متداخل يُظهر قدرة النصوص على استيعاب وتكييف عناصر من الآخر دون فقدان هويتها، ويجسّد هذا التبادل كيف يمكن للخطاب أن يكون مجالًا للمقاومة أو للتكيف، وهو ما تجلى في النصوص الفلسفية والفقهية والشعرية. إذ يُظهر الشاعر ابن زيدون في شعره كيف يمكن التعبير عن الانتماء العاطفي والسياسي في الوقت ذاته. بينما يعكس ابن حزم وكتابه «طوق الحمامة» أبعادَ التفاوض في صياغة مفهوم الحب والعاطفة وفق معايير اجتماعية وأخلاقية محددة[٨]، كما أن المؤرخين مثل ابن الخطيب استخدموا السرد التاريخي لإعادة إنتاج صورة المجتمع الأندلسي، وتثبيت تمثلاته الثقافية والسياسية بما يتناسب مع السلطة القائمة ومع الرؤية الجماعية للأمة، وعليه فإن النصوص ليست سجلا للوقائع فحسب، بل فضاءات حية للتفاعل والتفاوض، حيث تتلاقى الأصوات المتعددة وتتداخل الخطابات، وهو ما يتوافق مع مبادئ التاريخية الجديدة التي تعدّ النصوص مواقع للتفاوض بين السلطة والخطاب والثقافة[٩].

وقد أتاح التعدد اللغوي والثقافي في الأندلس، من العربية والعبرية واللاتينية، فرصة لإعادة صياغة الفهم الثقافي والمعرفي، بحيث لم تعد اللغة وسيلة للتواصل البسيط، بل أداة لتشكيل الوعي وإعادة إنتاج القوة، كما أن النصوص الشعرية والأدبية أظهرت القدرة على استدعاء الرموز المشتركة وإعادة توظيفها بما يخدم أهداف التفاوض الثقافي، وهو ما يُبرز العلاقة الجدلية بين النص والسياق، بين الفرد والجماعة، وبين التجربة الخاصة والتاريخ الجمعي[١٠]. ومن هذا المنطلق يمكن القول إن عملية التفاوض والتبادل في النصوص الأندلسية لم تكن عملية سطحية أو عابرة، بل استراتيجية ثقافية متكاملة تعكس مرونة المجتمع وقدرته على استيعاب تعدد الأصوات، كما يتيح لنا هذا التحليل فهم كيف تتشكل الهوية الفردية والجماعية في سياق ثقافي متعدد، وكيف يمكن للخطاب أن يصبح أداة لإعادة إنتاج السلطة أو مقاومة الهيمنة، وهو ما يفتح آفاقًا جديدة لإعادة قراءة النصوص الأندلسية بعيدًا عن الانطباعات الرومانسية عن التعايش، بل بوصفها فضاءات دينامية تتقاطع فيها السياسة والثقافة والفن والمعرفة. وعليه فإن التفاوض والتبادل الثقافي في السردية الأندلسية يمثلان صلب فهم كيفية عمل النصوص في المجتمع الأندلسي وكيف يمكن للباحث باستخدام أدوات

(7) Stephen Greenblatt, Renaissance Self-Fashioning: From More to Shakespeare (Chicago: University of Chicago Press, 1980), pp. 45–48.

(٨) ابن زيدون، الديوان، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٥)، ص ١١٢ – ١١٨؛ ابن حزم، طوق الحمامة، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٢)، ص٣٤-٤٢.

(9) Louis Montrose, 'Professing the Renaissance: The Poetics and Politics of Culture', in The New Historicism, ed. H. Aram Veeser (New York: Routledge, 1989), pp. 25–27.

(10) H. Aram Veeser, The New Historicism (New York: Routledge, 1989), pp. 15–20.

التاريخية الجديدة أن يكشف عن شبكة العلاقات المعقدة بين النص والسياق والسلطة والمعرفة، بما يسمح بإبراز الوظائف الثقافية والسياسية للنصوص، وهو ما سيمهد للمبحث الثالث الذي سينتقل إلى دراسة تشكيل الذات الفردية والجماعية في النصوص الأندلسية وعلاقتها بالهوية والسلطة والمعنى[١١].

المبحث الثالث:
تشكيل الذات بين الفرد والجماعة في السردية الأندلسية

مثل مفهوم تشكيل الذات في النصوص الأندلسية بعدًا مركزيًا لفهم العلاقة بين الفرد والجماعة والهوية داخل مجتمع متعدد الثقافات والأديان، إذ لم تعد النصوص الأدبية أو الفقهية أو التاريخية مجرد تسجيل للوقائع أو تعبير عن المشاعر الفردية بل أصبحت أدوات فاعلة في إعادة تعريف الذات وصياغة الانتماء الاجتماعي والثقافي والسياسي، فالفرد في السردية الأندلسية يظهر وهو يتفاعل مع محيطه بما يعكس وعيه الذاتي المنهجي الذي يشمل إدراك موقعه ضمن الشبكات السياسية والاجتماعية والدينية، ويتيح له ذلك التعبير عن الذات في مقابل الجماعة وتحديد علاقته بالسلطة والمعرفة[١٢]، ومن هنا نجد أن الشعراء مثل ابن زيدون استخدموا الشعر الغزلي ليس على أنه تجربة جمالية فقط، بل وسيلة لإعادة إنتاج تصور الذات والعاطفة ضمن أطر اجتماعية محددة، إذ يعكس ديوان ابن زيدون صراعات الفرد في سياق الانتماء والهوية، كما أن الفقهاء مثل ابن حزم وظفوا الخطاب العقدي والفقهي لبناء مفهوم الذات الجمعية الذي يعكس حدود الانتماء الديني والمذهبي[١٣]، بينما المؤرخون مثل ابن الخطيب استثمروا السرد التاريخي لإظهار كيفية تفاعل الذات الجماعية مع القوى السياسية والاجتماعية، وهو ما يجعل النصوص مواقع تفاوضية تعكس تداخل التجربة الفردية مع الذاكرة الجماعية[١٤]، ويَظهر هذا التداخل أيضًا في عملية توظيف الرموز الثقافية المشتركة التي تمنح النصوص القدرة على ربط الماضي بالحاضر وإعادة إنتاج الهوية بشكل مستمر.

كما أن فكرة تشكيل الذات في السياق الأندلسي تشمل القدرة على الجمع بين تعدد الأصوات الثقافية والفكرية دون فقدان الإحساس بالاستمرارية التاريخية، إذ تُظهر النصوص كيف يمكن للفرد أن يكون واعيًا بمحدودية سلطته وتأثيره في مجتمع متنوع، وفي الوقت نفسه يمتلك القدرة على التأثير في المجتمع من خلال النص، وهو ما يتوافق مع رؤية التاريخية الجديدة التي ترى النصوص مساحات للتفاوض بين السلطة والخطاب[١٥]، ومن

---

(١١) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٢)، ص٦٧-٧٢.

(12) Stephen Greenblatt, Renaissance Self-Fashioning: From More to Shakespeare (Chicago: University of Chicago Press, 1980), pp. 50–53.

(١٣) ابن زيدون، الديوان، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٥)، ص ١٢٠ – ١٢٧؛ ابن حزم، طوق الحمامة، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٢)، ص ٤٥ – ٥٢.

(١٤) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٢)، ص ٧٥ – ٨٢.

(15) Louis Montrose, 'Professing the Renaissance: The Poetics and Politics of Culture', in The New Historicism, ed. H. Aram Veeser (New York: Routledge, 1989), pp. 30–33.

أبرز مظاهر ذلك استخدام السرد التاريخي والأدبي والفقهي لتحديد حدود الهوية، سواء على مستوى الفرد أو الجماعة، فالذات الفردية في النصوص الأندلسية تتشكل عبر عملية مستمرة من التفاعل مع النصوص الأخرى والخطابات المعارضة والخبرات الاجتماعية، بينما الذات الجمعية تتشكل عبر تمثيلات مشتركة تربط بين الدين والسياسة والثقافة، وهو ما يظهر في كيفية تعامل الشعراء والمؤرخين والفقهاء مع أحداث التاريخ، وتصويرهم تجارب الحب والغزل والسياسة والحكم، إذ أن هذه النصوص لا تكتفي بسرد الوقائع بل تعيد إنتاجها مع إضافة طبقات من التقييم الأخلاقي والجمالي والمعرفي. وعليه فإن تحليل تشكيل الذات في النصوص الأندلسية يكشف عن شبكة العلاقات المعقدة بين الفرد والجماعة والسلطة والنص، ويبرز الدور الفاعل للوعي الذاتي المنهجي في صياغة الهوية، كما يوضح كيف أن الثقافة الأدبية والفكرية لم تكن منفصلة عن التجربة الاجتماعية والسياسية بل كانت جزءًا منها[١٦]، ويتيح هذا التحليل استخدام أدوات التاريخية الجديدة لفهم النصوص بوصفها منتجًا ثقافيًا متعدد المستويات، حيث يتداخل فيها التفاوض مع السلطة، والصدى مع العجيب، والتجربة الفردية مع الذاكرة الجمعية، وهو ما سيمهد للمبحث الرابع الذي سيتناول مفهوم العجيب والصدى أدواتٍ لتخييل الذاكرة الثقافية وإعادة إنتاج التجربة الأندلسية عبر النصوص.

المبحث الرابع:

العجيب والصدى – تخييل الذاكرة الأندلسية

يشكل العجيب والصدى في النصوص الأندلسية بعدًا أساسيًا لفهم كيفية تخييل الذاكرة الثقافية وإعادة إنتاج التجربة المجتمعية المتعددة الأبعاد، فمفهوم العجيب يشير إلى العناصر الغرائبية والمذهلة التي وظفت في الأدب والتاريخ لإثارة الدهشة وجذب الانتباه، وهو ما يجعل النصوص الأندلسية ليست تسجيلًا مجردًا للوقائع، بل فضاءات تتسم بالإبداع والخيال والتوظيف الرمزي للظواهر الطبيعية والاجتماعية والثقافية[١٧]، وعبر العجيب يمكن للكاتب أن يقدم رؤية استثنائية للمجتمع والأحداث بحيث يتمكن من إعادة تشكيل الصورة الذهنية للقارئ عن الماضي والحاضر، كما أن العجيب يتيح استكشاف الصراعات الداخلية والخارجية للذات والجماعة، إذ يعكس حضور المدهش وغير المألوف في النصوص الشعرية والتاريخية والقصصية مدى حساسية المجتمع الأندلسي للتنوع والتعدد ويكشف عن طرق التعبير عن الهوية والسلطة من خلال رموز ومجازات غير تقليدية[١٨]، بينما يشير مفهوم الصدى إلى استدعاء الذاكرة الثقافية وتكرار التجارب التاريخية بطريقة تؤكد الاستمرارية بين الماضي والحاضر، وهو ما يمكنُ ملاحظته في إعادة تقديم القصص التاريخية والحكايات الشعبية والأحداث الأدبية ضمن إطار يربط بين التجربة الفردية والجماعية[١٩]، ويجعل الصدى النص وسيلة لنقل التراث وإبراز تأثيرات

(16) Catherine Gallagher and Stephen Greenblatt, Practicing New Historicism (Chicago: University of Chicago Press, 2000), pp. 22–28.

(١٧) ابن زيدون، الديوان، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٥)، ص ١٣٠ – ١٣٦.

(١٨) ابن حزم، طوق الحمامة، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٢)، ص٦٠-٦٥.

(١٩)ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٢)، ص ٨٥ – ٩٢.

الثقافات المختلفة في تشكيل الوعي الجمعي، ومن التفاعل بين العجيب والصدى تتضح وظيفة النصوص الأندلسية كمجالات للتفاوض الثقافي والفكري، حيث تلتقي القوى المختلفة لتشكيل معنى مشترك وتقديم تصورات متعددة للواقع، وهكذا تتداخل التجربة الجمالية مع التجربة التاريخية والسياسية[٢٠].

وعبر هذا التفاعل يمكن للباحث أن يلمس مدى قدرة النصوص الأندلسية على إعادة إنتاج الحدث التاريخي مع إضافة أبعاد رمزية وأخلاقية وجمالية، ما يعكس حساسية المجتمع تجاه التنوع الثقافي والديني ويجعل النصوص أدوات فاعلة في تشكيل الوعي والمعنى، ومن هنا يظهر دور التاريخية الجديدة في قراءة هذه النصوص، إذ تتيح الكشف عن شبكة العلاقات بين السلطة والخطاب والثقافة، وعن كيفية استخدام النص للعجيب والصدى لإبراز الصراع والتفاوض والتمثلات الجماعية والفردية[٢١]، وقد أظهرت دراسة نصوص مثل ابن زيدون وابن حزم وابن الخطيب كيف أن العجيب استخدم في الشعر والنثر لإضفاء طابع الاستثنائي على التجربة الأندلسية، بينما كان الصدى وسيلة لإعادة إنتاج الذاكرة الثقافية ونقل التجربة الجماعية عبر الأجيال، وهو ما يعكس قدرة الأدب الأندلسي على الجمع بين الجمالية والمعنى والتاريخ، ويؤكد أن النصوص لم تكن عابرة أو هامشية بل مساحات حيّة لتشكيل الذات والجماعة وإعادة إنتاج السلطة والمعرفة، وعليه فإن دراسة العجيب والصدى تكمل المباحث السابقة حول التفاوض والتبادل الثقافي وتشكيل الذات، لتقدم رؤية متكاملة للسردية الأندلسية باعتبارها شبكة دينامية من العلاقات الثقافية والسياسية والجمالية التي تعكس طبيعة المجتمع الأندلسي وتفتح آفاقًا للبحث في كيفية تفاعل النصوص مع السياقات التاريخية والثقافية والاجتماعية بشكل دائم.

(20) Louis Montrose, 'Professing the Renaissance: The Poetics and Politics of Culture', in The New Historicism, ed. H. Aram Veeser (New York: Routledge, 1989), pp. 35–40.

(21) Catherine Gallagher and Stephen Greenblatt, Practicing New Historicism (Chicago: University of Chicago Press, 2000), pp. 30–36.

الخاتمة

يستخلص هذا البحث أن السردية الأندلسية تمثل حقلًا غنيًا ومعقدًا للتفاعل بين النص والسياق التاريخي والثقافي والاجتماعي، وأنها لا تقتصر على كونها سجلًا للأحداث أو ممارسة جمالية فحسب، بل هي أداة فاعلة في إعادة إنتاج السلطة والمعرفة وصياغة الهوية الفردية والجماعية، وقد أظهرت المباحث الأربعة أن منهج التاريخية الجديدة يوفر إطارًا تحليليًا يمكن معَه فهم هذه النصوص كمنتجات ثقافية متشابكة الأبعاد، تحمل آثار السلطة في الوقت ذاته الذي تعكس فيه عمليات المقاومة والتفاوض[٢٢]. ففي المبحث الأول تم توضيح أن التاريخية الجديدة تجعل النصوص مرآة للعلاقات المعقدة بين السلطة والخطاب والثقافة، وتمنح الباحث القدرة على قراءة النصوص الأندلسية ليس فقط بوصفها وثائق تاريخية، بل باعتبارها فضاءات حيوية لإعادة إنتاج التفاعلات الاجتماعية والسياسية، كما

(22) Stephen Greenblatt, Renaissance Self-Fashioning: From More to Shakespeare (Chicago: University of Chicago Press, 1980), pp. 5–10.

بينت المباحث أن مفهـوم النص كمنتج ثقافي يتيح إدراك كيفية تأثير البنى الاجتماعية والسياسية على إنتـاج النصوص الأدبية والفكريـة، وكيف أن هذه النصوص تساهم في تشكيل الوعي الذاتي المنهجي للأفـراد والجماعـات، بمـا يوضـح أن النصـوص الأندلسـية لم تكـن محايدة بل كانـت دائمًا أدوات للتفاوض الثقافي والمعرفي[٢٣].

وفي المبحـث الثاني أظهر البحـث أن التفاوض والتبـادل الثقـافي كانا عنـاصر مركزيـة في الحياة الأندلسـية، حيـث تفاعلـت الثقافـات المختلفـة بالترجمـة، والفلسـفة، والشـعر، والفقـه، وهو ما جعل النصوص الأدبية والفكرية مساحات للتلاقي بين الخطابات المتنوعة، كما بينت الأمثلة التطبيقية كيف أن الشـعراء والفقهاء والمؤرخين اسـتخدموا النصـوص لإعـادة صياغـة العلاقـات بـين الذات والجماعة وبين السـلطة والخطاب، وهو ما يعكس قـدرة المجتمـع الأندلسي عـلى اسـتيعاب التعددية دون فقدان انسـجامه الثقـافي والاجتماعي[٢٤]. وفي المبحـث الثالث تبين أن النصوص الأندلسـية لعبت دورًا محوريًا في تشـكيل الذات الفردية والجماعية، فالشعراء مثل ابن زيدون استخدموا الشعر لإعادة تعريف الانتماء العاطفي والسياسي، والفقهاء مثل ابن حزم وظفوا الخطـاب الفقهي والعقدي لإعادة إنتاج الهوية الدينيـة والاجتماعية، والمؤرخون مثل ابن الخطيب اسـتخدموا الـسرد التاريخي لتثبيت صـورة المجتمـع والأحـداث بمـا يعكـس التفاعل بـين الفرد والجماعة والسـلطة، وهو ما يوضح أن تشكيل الذات في النصوص الأندلسية لم يكن عملية نظرية فحسـب بل ممارسة عملية متصلة بالسياق الاجتماعي والسياسي والثقافي[٢٥].

في المبحث الرابع بيّن البحث أن مفهومَي العجيب والصـدى، يشـكلان أدوات فاعلة لتخييـل التجربة الثقافية وإعادة إنتـاج الذاكرة الجمعية، فالعجيب يسـمح للكاتب بتقديـم رؤية اسـتثنائية للمجتمع والأحداث بما يثـري التجربة الجماليـة والمعرفية، بينما الصدى يعمل على اسـتدعاء الذاكرة الثقافية وربط الماضي بالحاضر وإبراز اسـتمرارية التجربة الجمعيـة، وبهـذا التفاعـل بين العجيـب والصدى يمكن فهم النصوص الأندلسـية كفضاءات دينامية تجمع بـين الجماليـة والمعنى والتاريـخ، وتوضح كيفيـة إعـادة إنتاج الهويـة والثقافـة والتاريخ في آن واحـد[٢٦]. وبنـاء عـلى ذلك يتضـح أن السردية الأندلسـية لـم تكن مجـرد انعكاس سـلبي للواقع أو نصوصًـا جامـدة، بل فضـاءات حيّـة للتفاعل والتفاوض بين الخطابات المتعددة، ووسيلة لإعادة إنتاج السـلطة والمعرفة وتشـكيل الوعـي الفردي والجماعي، كما أنها تعكس حساسية المجتمع تجاه التعدديـة الدينية والثقافية وقدرته على اسـتيعاب هـذا التنـوع ضمـن إطـار متماسـك. ويظهر من التحليل أن اسـتخدام منهـج التاريخية الجديدة في قـراءة النصوص الأندلسـية يتيح للباحث كشـف العلاقات المخفية بين النص والسـياق، بين السلطة

(23) Catherine Gallagher and Stephen Greenblatt, Practicing New Historicism (Chicago: University of Chicago Press, 2000), pp. 12–18.

(٢٤) ابن زيدون، الديوان، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٥)، ص١٢٠-١٣٠.

(٢٥) ابن حزم، طوق الحمامة، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٢)، ص ٥٠-٦٠؛ ابـن الخطيب، الإحاطة في أخبـار غرناطـة، ط (بيروت: دار الكتـب العلمية، ١٩٨٢)، ص ٧٥ – ٨٥.

(26) Louis Montrose, 'Professing the Renaissance: The Poetics and Politics of Culture', in The New Historicism, ed. H. Aram Veeser (New York: Routledge, 1989), pp. 35–42.

والمعرفــة، وبين الفرد والجماعة، كما يســمح بفهم التفاعــلات الرمزية والجمالية التــي لم تكن مرئية للقــراءة التقليدية للنصوص، وهــو ما يثبت أهمية هذا المنهج في الدراســات الأدبية والتاريخية على حد ســواء، ويؤكد أن السردية الأندلســية تمثل نموذجًا مثاليًــا، لكيفية توظيف النصوص الأدبية والفكرية في التفــاوض الثقافي، وإعادة إنتاج الهوية والذاكرة والمعنى، وتبيان كيفية تشــكل الذات ضمن شــبكة العلاقــات المعقدة ،التي تجمع بــين الفرد والمجتمع والتاريــخ والثقافة. ومــن النتائــج الجوهرية التي خرج بهــا البحث أيضًــا، أن النصوص الأندلســية تظهر دينامية مســتمرة بين التعددية والانســجام، بين الماضي والحاضر، وبــين الواقع والتخييل، وهو ما يتيح للباحثين فهم كيف ساهمت هذه النصوص في الحفــاظ عــلى الهويــة الثقافية، ونقــل التجربة التاريخيــة والمعرفية عــبر الأجيال، كمــا أن إدراك وظيفــة العجيب والصدى في هــذه النصوص يعزز فهــم آليات التخيــل الثقافي وكيفية دمــج الجمالية بالمعنى والمعرفــة التاريخية، ويبرز الــدور الفاعل للنصــوص في بناء وعي جمعي متــوازن يربط بين الفــرد والجماعة والســلطة والخطــاب، وعليه فإن البحــث يؤكد أن السردية الأندلســية ليســت مجرد إرث تاريخــي أو أدبي بل منظومة ثقافية متكاملة، يمكن معها دراسة العلاقات بين النصوص والثقافة والســلطة والتاريخ، مما يفتح آفاقًا جديدة للبحث العلمي في مجالات الأدب والتاريخ والثقافة المقارنة، ويؤكــد أن تطبيق منهــج التاريخيــة الجديدة على السردية الأندلسية يساهم في تطوير أدوات التحليل النقدي وفهم طبيعة المجتمع الأندلسي المتعدد الأبعاد، ويســمح بتسليط الضوء على التفاعلات المعقدة بين النص والســياق والهوية والمعنــى بطريقة لم تكن متاحة في الدراسات التقليدية[٢٧]. وفي الختام، يمكن القــول إن هذا البحث قدم قــراءة متكاملة للسردية الأندلســية، ركزت على التفــاوض والتبادل الثقافي، وتشــكيل الذات، والعجيب والصدى، ضمن منظور التاريخيــة الجديــدة، ليؤكد أن هــذه النصوص لم تكــن منفصلة عن واقعها، بل كانت فاعلة فيه، وأن فهمها يعزز القدرة على استيعاب تعقيدات المجتمع الأندلــسي وتعدديتــه الثقافية والدينيــة والفكرية، ويضع أسسًــا للدراسات المستقبلية التي تسعى إلى ربط الأدب بالتاريخ والثقافة والمعرفة في ســياقات متعددة ومعقدة.

أولًا: المصادر العربية

١. ابــن الخطيــب، الإحاطــة في أخبــار غرناطــة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٢)،

٢. ابــن حزم، طوق الحمام (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٢)،

٣. ابــن زيدون، الديــوان، (القاهــرة: دار المعارف، ١٩٧٥).

ثانيًا: المراجع الأجنبية

1. Catherine Gallagher and Stephen Greenblatt, Practicing New Historicism (Chicago: University of Chicago Press, 2000),.

2. Stephen Greenblatt, Renaissance Self-Fashioning: From More to Shakespeare (Chicago: University of Chicago Press, 1980),

3. H. Aram Veeser, The New Historicism (New York: Routledge, 1989),

4. Louis Montrose, 'Professing the Renaissance: The Poetics and Politics of Culture', in The New Historicism, ed. H. Aram Veeser (New York: Routledge, 1989),

(27) Catherine Gallagher and Stephen Greenblatt, Practicing New Historicism, pp. 28–36.